الخاتمة

نظرة عامة على حكم سعود

وكلمات عن السلطان العثماني ومحمد علي وابنه أحمد طوسون الذين حاربوه وانتزعوا منه الحرمين

كان عهد سعود استمراراً لعهد أبيه الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، مع زيادة في الحروب وفي التوسع،بل كان عهده سلسلة موصولة من الفتوح والمكاسب والانتصارات قطعها ، في آخر أيامه ، الغزو المصري – التركي ، الذي اجتاح بلاده ، مبتدئاً بشطرها الغربي : الحجاز .

أفيعني هذا أن الامام سعود أضاع بعض التركة التي خلـّفها له أبوه العظيم ؟

أضاع سعود الحرمين، مكة والمدينة ، والطائف ، وأضاع قبل ذلك ، شيئاً من ساحل الحجاز ، ولكن هذه الأراضي لم تكن خاضعة لعبد العزيز ، باستثناء الطائف ، التي يقول ابن بشر : إن الاستيلاء عليها تمّ في شهر شوال ، قبل وفاة عبد العزيز ، بينما يؤكد المؤرخ التركي جودت باشا أن الامـام سعود هو الذي استولى على الطائف بعد وفاة أبيه !

وهكذا .. نستطيع القول إن الامام سعود لم يُضع شيئاً من تركة أبيه ، وإنما َفقدَ شيئاً مما أضافه اليها خلال ولايته وبجدّ سيفه ، وقد مات عن تركة

تزيد عما ورثه بلداناً كثيرة في اليمن وتهامة ، كاللحية وبيت الفقيه وزبيدة وبلاد أبي عريش .. إلى بلدان أخرى في عمان ومسقط لم تخضع للدرعية إلا في عهده !

ذلك هو الواقع ، ولكن المؤرخ لا يقف عند هذا الحد من البحث ، فموت سعود عن ملك كبير لا يعني أن الكارثة ، التي انتهت بانهيار الدولة السعودية الأولى ، لم تبدأ في زمانه .. ولذلك يحمّله بعض المؤرخين شيئاً من تبعة هـذه الكارثة الهائلة ، لما ينسبون اليه ، في آخر أيامه ، من حرص على المال ، أبعد عنه كثيراً من رجال العشائر وزعماء الحجاز ، ومن إصرار على تحدي السلطان التركي ، في وقت أصبح فيه هذا السلطان أكثر مقدرة على الحركة ، لتناقص الأخطار الخارجية التي كانت تتهدد ملكه ، ولتخلص واليه على مصر ، محمد علي ، من خطر المماليك وسيطرته الكاملة على مصر !

وإلى جانب هؤلاء المؤرخين ، الذين يحملون سعود الكبير بعض التبعات ، نجد عدداً من المؤرخين الافرنسيين الذين كتبوا عن حملة محمد علي ، يقولون — مع معرفتهم بجوانب الضعف القليلة في شخصية سعود الكبيرة — إن الامام سعود لو عاش فوق عمره ، عدة سنوات أخرى .. لما انهارت الدولة ، لأنه كان قادراً على مواجهة محمد علي بقوة ودهاء ، وربما كان يستغني عن الحجاز ، لفترة من الزمن ، ولكنه كان يحتفظ بكل ممتلكاته الأخرى ، بعد أن ينزل بجيوش محمد علي خسائر فادحة ، وهؤلاء المؤرخون إنما ذهبوا الى هذا الرأي لأن عبد الله ابن سعود (ارتكب) أخطاء حربية كثيرة ، ولم يستفد من الأزمات التي مرّ بها أعداؤه ، وهذه الأخطاء التي تعدّ سبب الهزيمة التي نزلت به ، ما كان أبوه سعود ليرتكبها ، لأنه كان عظيم الهيبة ، وواسع الحيلة ، لا يدع الفرص السانحة « تفلت » من بين يديه ولا يهمل تتبع خصمه المنهزم في الميدان ..

رأيان في كل منهما جانب من الحق . ولكن .. هنالك عناصر أخرى خارجية زادت الموقف في الجزيرة العربية حرجاً ، منها : تولي السلطان محمود الثاني السلطنة في استانبول ، وتولي محمد علي الولاية في مصر ، فكلاهما من أمكر الناس وأدهاهم ولديهما موارد كثيرة من الرجال والأموال والأسلحة ..

الادارة في عهد سعود

لم تكن الادارة معقّدة في زمن سعود ، وقد استطاعت هذه الادارة على بساطتها، كما يقول بروكلمان ، (أن توطد دعائم السلامة العامة ، وكانت مفقودة في بلاد العرب منذ قرون) .

وقد توهم الريحاني أنه لم تكن ، في زمن سعود ، إدارة .. ولذلك قال ، بعد أن أثنى على عدل سعود في حكمه :

(.. بيد أنه لم يكن على شيء من الادارة ، ولا كان النظام — ما عدا بعض قواعد أساسية تتعلق بالجيش — معلوماً ! فلم يكن يربط النواحي القصية بعضها ببعض غير كلمة الامير ، ولم يكن ليحفظها وثيقة العرى غير صولته ، فاذا ذهبت الصولة ذهب الملك) .

ويبدو لنا أن (بركارت) و (مانجان) الغربيين كانا أكثر معرفة بحقائق الامور في عهد سعود من الريحاني ، فقد ذكروا أولاً : ان الادارة السعودية خاضعة لأحكام الشرع ، وثانياً : أن سعود قسم البلاد الى أقاليم ، وجعل عليها أمراء ، وكان يختارهم من أفراد العائلات التي كانت تتولى الإمارة في الاقليم أو البلدة ، إلا إذا اتجه الرأي العام الى غيرهم أو فرضت تغييرهم مصلحة عامة ، وثالثاً : أن للأمراء سلطات حددها لهم الإمام ، في اطار الشرع والأعراف الحسنة ، ومن أعظم مهامهم الاشراف على جمع المقاتلين كلما طلب منهم ذلك ومساعدة عمال الزكاة ، والسهر على حفظ الأمن ، وتنفيذ أحكام القضاة ، والسهر على تطبيق أحكام الشرع ، ورابعاً : ان الامراء يتمتعون بحرية كبيرة في حدود إمارتهم ، ولكن أي واحد من مواطنيهم يستطيع أن يشكوهم الى الإمام إذا ارتكبوا ظلماً أو أخلوا بواجباتهم . وقد كان سعود يبين للأمراء واجباتهم ، في رسائل يكتبها اليهم .

واجبات الامير وسلطاته :

ومما ورد في إحدى رسائله — المنشورة في الصفحة ٢٤٧ من كتابنا — هذه الفقرات ، التي تبرز كثيراً من واجبات الأمير وسلطاته ، قال الإمام سعود :

١ – وإني .. ملزمٌ الأميرَ يقوم على الناس في أمور دينهم من حيث الجملة من تعلم وتعليم .

٢ – ويقوم على الناس في قمع ما جرى منه شيء يستوجب الأدب : فإن كان الأدب فيه حكم شرعي أوحد لزمه الإمضاء ، وإن كان أدباً غير ذلك .. أدَّب على قدر ما يردع أرباب المعاصي .

٣ – ويقوم على الناس في تفريق الرديين .. والقومة على النـــاس في أنواع التهم ، والقومة على أهل مواقف التهم .

٤ – والقومة عليهم في بخس المكاييل والموازين .

٥ – وبخس الزكاة أو اعطائها من أرذل المال ، وما جرى مجرى هذا .

٦ – ومن مداخلة الربا في البيوع .

٧ – والقومة في الجهاد من إتمــام التسليح بالسلاح الطيب والرجال الطيبين ، والقومة على الخيل وتمام آلاتها .

وإني ملزم كل من يخاف الله ويرجوه : القومة مع الأمير بكل هذا) .

الزامية التعليم .. ومساعدات لطلاب العلم :

وإني قــد لزمت على كل أمير ناحية يخص على خمسة عشر أو أكثر أو أقل من أهل بلدانه ويلزمهم طلب العلم لأنه أمر ضروري .

إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من النــاس ولكن يقبض العـــلم بموت العلماء ... الخ .

ولا أعذر كل أمير ناحية إلا عنده ناس مخصوصون ويلزمهم طلب العلم ويكتب لنا أسماءهم في ورقة ، ويوصلهم إن شاء الله ما يعاونهم على معيشتهم .

تتبع المرابين :

وكان سعود يكره الربا كثيراً ، في أشكالها الظاهرة والخفية ، وقد جاء في بعض رسائله ما يوضح لنا شدة عنايته بمكافحة الربا، فقد أقام رجالاً مخصوصين في كل بلد لمراقبة المبايعات الربوية وتأديب أصحابها ، قال :

(وأنا آمر هؤلاء الذين معهم الورقة يختارون من كل أهل بلد ثلاثة أهل دين،

وأنا ملزمهم بتتبع التجار والفلاح في مسألة المبايعة ، ومن فعل شيئاً مما بينا في هذه الورقة فيبينون للأمير ، فإن كان الأمير ما قـــام وأدّب ، أدّبت الأمير وأدّبت الفاعل) !

ما يقوله الدليل عن ادارة سعود :

ونقتطف ، ممـا كتبه « دليل الخليج الفارسي » عن إدارة سعود ، هـــذه الفقرات ، بتصرف يسير :

(كانت إدارة سعود مثالاً نموذجياً للأساليب السلفية الوهابية ، وما كان يشرك أحداً من أولاده في الأعمال العامة ، باستثناء ابنه البكر عبد الله .

لم يكن « ديكتاتوراً » مستبداً ، فقـــد كان يحيط نفسه بأصحاب الرأي ويستشيرهم ، وفي مقـدمتهم آل الشيخ ، ويمكننا القول إنه كان زعيماً عربياً كبيراً ، يفرض نفسه على الآخرين بمزاياه وهيبته ، أكثر ممـــا يسودهم بمركزه ولقبه ..

وكان يحرص على استبقاء أبناء الأسَر في مناصب أسَرهم التقليدية، ما اطمأن إلى إخلاصهم ، فإذا ظهرت له منهم بوادر عـدم الولاء عاقبهم ، وربما أكرههم على الإقامة في الدرعية تحت مراقبته ..

كان يُكرِه النـــاس على الصلاة في أوقاتها بالقوة ، فيخرج المطوعون إلى الشوارع بالهراوات ويسوقون المتخلفين إلى المساجد، ولكنه كان يلتزم بالنصوص الدينية تماماً فلا يخلّ بحرمة الدور ، وقـــد جاءه مرة رجل وقال له إن فلاناً يشرب الخمرة أو يدخن في داره ، فسأله سعود :

– كيف عرفت ذلك ؟

قال : أطللت عليه من نافذة بيتي !

قال سعود : ألم تعلم أن الله سبحانه نهى عن التجسس !

وعاقبه سعود على تجسسه ، ولم يكترث لأقواله ، حتى لا يشجع الآخرين على التجسس !)

أمراء سعود :

ويذكر ابن بشر أسماء أمراء سعود كما يأتي :

على الأحساء	:	ابراهيم بن سليمان بن عفيصان
على القطيف	:	أحمد بن غانم
على البحرين	:	سلمان بن خليفة
على عمان	:	سلطان بن صقر بن راشد (ثم عزله وجعل مكانه ابن أخيه حسن بن رحمه)
على الجيوش في عمان	:	مطلق المطيري
على ناحية القصيم	:	حجيلان بن حمد
على ناحية الوشم	:	محمد بن ابراهيم بن غيهب المعروف بالجميح
على المحمل	:	ساري بن يحيى بن سويلم
على ناحية الخرج	:	عبد الله بن سليمان بن عفيصان
على ناحية سدير	:	حمد بن سالم (ثم عزله وجعل مكانه عبد الكريم ابن معيقل)
على الطور وتهامة	:	عبد الوهــاب ، المعروف بأبي نقطة (ولما قتل جعـــل مكانه طامي بن شعيب من عشيرة عبد الوهاب)
على وادي الدواسر	:	ربيـع بن زيد الدوسري
على بيشة ونواحيها	:	سليمان بن شكبان (ثم بعده ابنه فهاد)
على رينة وضواحيها	:	مصلط بن قطنان
على جبل شمر والجوف	:	محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي
على الطائف والحجاز	:	عثمان بن عبد الرحمن المضايفي
على مكة	:	الشريف غالب بن مساعد
على المدينة	:	حسن القلعي
على ينبع	:	جابر بن جبارة

القضـــاء

يقول بركارت: إن البلاد العربية التي لم تخضع للحركة السلفية الوهابية كانت تعيش في شبه فوضى ، من حيث القضاء والنظام ، وأما البلاد الوهابية فكانت تنعم بنظام قضائي صالح وتطبق أحكام الشرع .

علم الامام عبد العزيز العرب الخضوع للنظام ، والمحافظة على الأمن العـام ، والاحتكام في خصوماتهم إلى القضاء بدلاً من الخصام وتحكيم الحسام . .

وجاء سعود فأتمّ عمل أبيه وتوسع فيـه ، فاستكثر من القضاة ، وأرسلهم إلى مختلف المدن والقرى ومنازل العشائر ، القريبة والبعيدة ، وكان يختارهم من أعظم الناس وأنزههم ، ويجري عليهم أموالاً وأرزاقاً من بيت المال ، بينما كانت العادة أن يعطي المتخاصمون قضاتهم أجوراً عن قضائهم تختلط أحياناً بالرشوات!

كان القضاء عادلاً ، و « مجانياً » ، وكان القضاة على مقربة من المتقاضين ،فلا نفقة ، ولا مشقة ، ولا مظلمة : وتلك نعمة من نعم الله الكبرى تنعم بها شعب الدولة السعودية .

وممـا يحسن التنبيه اليه ان القضاة كانوا مستقلين وأحراراً في قضائهم ، لا سلطان للأمير ولا للإمام نفسه عليهم !

وقد ذكر ابن بشر ، في تاريخه ، طائفة من أسماء القضاة في عهد سعود، فقال إن قضاة سعود كانوا :

على الدرعية	:	عبد الله بن الشيخ
		سليمان بن عبد الله بن الشيخ
		علي بن حسين بن الشيخ
		عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ
		حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر
		عبد الرحمن بن خميس (إمام القصر وقاضيه)
على الأحساء	:	محمد بن سلطان العوسجي
		ثم عبد الرحمن بن نامي

على القطيف	:	محمود الفارسي (مهاجر من أهل فارس)
على تهامة	:	أحمد الحفظي
على اليمن	:	الشريف حسن بن خالد
على الطائف والحجاز	:	عبد الرحمن بن عبد الله أبا بطين
على جبل شمر	:	عبد الله بن سليمان بن عبيد
على بريدة	:	عبد العزيز بن سويلم
على عنيزة	:	غنيم بن سيف (ثم أخوه عبد الله)
على الوشم	:	عبد العزيز بن عبد الله الحصين
على سدير	:	علي بن ساعد
على منيخ	:	عثمان بن عبد الجبار بن شبانة
على حريملا والمحمل	:	عبد الرحمن أبا حسين
على الخرج	:	علي بن حمد بن راشد العريني
على المدينة النبوية	:	أحمد الياس الاصطنبولي الحنفي وأحمد بن رشيد الحنبلي
على مكة	:	أقرّ فيها قضاتها . (ثم أرسل اليها سليمان بن عبدالله ابن الشيخ ، فأقام فيها مدة قاضياً ورجع) .

قال ابن بشر : (وأما غير ذلك من النواحي فكان يبعث اليها القاضي نحو سنة ثم يرجع ويبعث غيره) .

الموارد الماليـة

لم يذكر ابن بشر إلا بعض الموارد المالية في عهد سعود،فقال إنه كان يأتيه:

من بندر اللحية	١٥٠ ألف ريال
ومن الفدعان (من عنزة)	٤٠ ألف ريال
ومن الأحساء	٨٠ ألف ريال (تظهر الى الدرعية..والباقي للثغور والخيالة والحوالات الخ ..)

وقدر ابن بشر ما تأتي به العاملة (أي كل مجموعة من العمال الذين يذهبون لجمع موارد الزكاة) بثلاثة آلاف كحد أدنى (وقـد يبلغ أربعين ألفاً) .. وكانت هناك سبعون عاملة أو أكثر ، « فمتوسط » الموارد تقريباً حوالي مليون ريال ، إذا حصلت كل عاملة عشرة آلاف ريال أو أكثر قليلاً ..

وقدر بركارت تلك الموارد في احدى السنوات بمليونين من الليرات، وقدرها بروكلمان (بمليون ونصف مليون طالير ، من عهد ماري تريز) وقال مثنياً على سعود إن ادارته لم تعرف (أي نوع من الابتزاز التعسفي ، فهي تكتفي بجمع الزكاة من المكلفين ، وفقاً للمبادىء التي نصّ عليها القرآن) . ولم تعرف البلاد السعودية أي نوع من تلك الضرائب الظالمة التي كان يفرضها الولاة في بعض البلاد العثمانية ، وعرف بعضها باسم « العوانية » !..

حكم تحضير وكفاح للأساليب البدوية :

يصف بعض المؤرخين والكتاب الغربيين الحكم السعودي بأنه حكم (بدوي)، ويصفون دولة نجد بأنها دولة بداوة .. لاعتقادهم بأن الجزيرة العربية ، باستثناء مدن معدودة فيها ، هي أرض القبائل الرحل .. وحكامها على مستوى حالتها الاجتماعية .. وكل هذا زعم باطل ومجرد هراء !

والحقيقة التي لا سبيل الى الشك فيها هي أن الحكم السعودي كان حكم تحضير وتمدين ، وهو ، في ذلك ، إنمـا يطبق مبادىء الحركة السلفية الإصلاحية التي أسسها ودعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فسعود ، وجده وأبوه من قبله ، لم يطبقوا على المدنيين أساليب البدو ، ولكنهم طبقوا على البدو أساليب الحضر ، وقد حاربوا البدو حروباً كثيرة عنيفة حتى أخضعوهم لحكم الشرع ، المطبق في المدن ، وإلى ذلك أشار ابن بشر في وصفه لحالة الأمن والنظام بين العربان ، في عهد سعود ، فقال عنه إنه أذلّ صناديد العربان (وأخضع رؤوسهم لأحكام القرآن ولأهل القرى والبلدان ، وأذعنوا لأوامره وحكمه فلم يقدر أحد منهم على مخالفة أمره ، فـلا يلقى صاحب الدم غريمه إلا بالسلام عليك يا فلان ! وصار البادي والحاضر تحت هذا الحكم القاهر ، كالأقارب والإخوان) .

كافح سعود كثيراً من عادات البدو وأساليبهم وخصوصاً ما كان يدعى (الدخايل) ، وهو أن يلجأ قاتل أو سالب الى عشيرة فتحميه وتمنعه من كل طالب متتبع له ، ولو كان أميراً أو قاضياً .. كما فرض الدية بدلاً من الثأر .. وحال كذلك ما استطاع دون اقتتال العشائر فيما بينها بسبب ثأر قديم أو خلاف على مرعى أو نحو ذلك ..

وقد ذهب سعود ، في سبيل إقرار الأمن ، الى اعتبار العشيرة كلها مسؤولة عن أي واحـــد من أفرادها يرتكب جريمة ، ولذلك كانت العشيرة تتبرأ من المجرم وتسلمه الى السلطة .. مما أدى الى تناقص عدد المجرمين وشيوع الأمن .

الجيـــش

لم يكن في زمن سعود جيش دائم ، محترف ، كما هي الحال في الوقت الحاضر ، عند أكثر الأمم ، وإنما مضى سعود على سنة آبائه ، فكان يجمع المقـــاتلة من الحواضر والبوادي قبل أيام من الغزو الذي يريده ، فإذا انتهى الغزو عاد المقاتلة إلى أوطانهم ..

عنصر المفاجأة :

وقد وصف ابن بشر شيئاً من أساليب سعود في غزواته ، فقـال إنه كان (إذا أراد أن يغزو إلى جهـــة الشمال أظهر أنه يريد الجنوب أو الشرق أو الغرب ..)

وهذه الطريقة إنما يراد منها مفاجأة العدو بالغارة قبل أن يستعد لهـــا .. (فإذا قرب من العدو نحو ثلاثة أيام ، بعث عيونه أمامه ، ثم عدا ، فلا يلبث حتى يبغتهم وينزل قريباً منهم ، فلا يوقد عند جميع المسلمين ـ يعني مقاتلة سعود ـ نار ، ولا كأنهم نزلوا بتلك الديار) [1] .

---

(١) ابن بشر .

ويذكر بركارت ان مقـــاتلة سعود قضوا في سيرهم من نجد إلى الشام خمسة وثلاثين يوماً ، ومع هـذا لم يعرف والي الشام بأمرهم إلا عنـــد اقترابهم من ضواحي دمشق .

عنصر « الرعب » :

وربمـا أضاف سعود إلى عنصر المفاجأة : عنصر الرعب ، وكان يفعل ذلك بطرائق مختلفة ، من أشهرها دعوته المقاتلين إلى إطلاق نيرانهم دفعـة واحدة ، مما يضعف مقاومة الخصوم ويحملهم على الاستسلام من شدة خوفهم مما سمعوه !..

تقى المقاتلين :

وكان سعود لا يعفي المقاتلين من تأدية الصلوات في أوقاتها ، إلا لضرورة ملحة ،وكان لا يباشر القتال الا بعد أن يعظ المقاتلين ويثير فيهم الحماسة والنخوة يساعده في ذلك عدد من العلماء الأفاضل ، من آل الشيخ وغيرهم ، الذين كان يصطحبهم في غزواته ، وكان أكره ما يكرهه من المقاتلين الجبن والغلول .

جمع الجيوش :

كان المقاتلون يجمعون جمعاً من بلدانهم وعشائرهم قبيل كل غزوة ، ومعنى ذلك أن كل جيش يتألف من سكان المنطقة التي جُمع منها ، ويشترك في القتال بقيـادة أمير المنطقة أو رئيس العشيرة ، الا اذا رأى الامام سعود غير ذلك ، وأما القيادة العامة فتكون لسعود أو لمن يختاره .

ويقال ان كل منطقة كانت تتكفل بنفقات جيشها ، وبذلك لا يدفع سعود من ماله شيئاً ، وكأن الغنائم هي أجر المقاتلين الموعود .

المنجيـة :

ويزعم بركارت أنه كانت عند سعود فرقة صغيرة من المقاتلين الشجعان ، كان يتخير لها كل رجل شجاع اشتهر في قومه ، وقد بلغ عددها ثلاثمائة أو أكثر

وكان يصطحبها في غزواتها ، وتدعى : « المنجية » .

ولم نجد لهذه الفرقة ذكراً في التواريخ النجدية التي بين يدينا ، ولكن ابن بشر ذكر في تاريخه ، في معرض كلامه عن خيل سعود ، أنـه ملك من الخيل العتاق ألفاً وأربعمائة فرس (يغزو معه منها ستمائة فرس ، يركبها رجال انتقاهم من شجعان البوادي وشجعان مماليكه وغيرهم) ..

وهكذا كان سعود يملك حرساً خاصاً ، أو جيشاً خاصاً دائماً ، من الرجال الشجعان ، يؤلف طليعة مختارة أو مـا يشبه في هذا العصر « فرقة المغاوير » — كوماندوس — .

الجيش .. والمساحي والفؤوس :

ومن الأمور التي تلفت النظر في بعض رسائل الإمام سعود ، أنه كان يدعو المقاتلين الى استحضار المساحي والفؤوس ، مع الأسلحة .. لماذا ؟

لأنه كان يريد من الجيش ، فوق القتال ، أن يهدم الأوثان ويبني الثغور !

قال في احدى رسائله :

(أعدّوا الفواريع والفؤوس والمساحي والمحافر ، تراني أرجو أننا نهدم بها الأوثان ، ونبني الثغور بأوطانهم ، بحول الله وقوته) .

أمراء الجيش والمقاتلين من البدو :

يمكننا القول إجمـالاً أن قواد الجيوش هم أمراء البلدان ، إلا في حالات نادرة ، وكذلك يمكن القول إن قواد المقاتلين من البدو هم شيوخهم .

وقد أثبت المؤرخ الافرنسي (مانجان) في كتابه المسمى (تاريخ مصر) ، والذي أفرد فيه ملحقاً خاصاً أسماه (تاريخ الوهابيين) جدولاً بأسماء رؤساء المقاتلين من البدو ، وذكر اسم كل عشيرة وعدد مشاتها وفرسانها ، وربمـا كان هذا الجدول يحتاج الى تكملة ومزيد من التحقيق ، وهذا هو الجدول كمـا أورده مانجان :

اسم القبيلة	اسم الشيخ	عدد المشاة	عدد الفرسان
بنو خالد	ابن عريعر	٢٥٠٠	٢٠٠٠
مطير	فيصل الدويش	٣٠٠٠	١٦٠٠
عتيبة	محمد بن ربيعان	٤٠٠٠	٣٠٠
حرب	غانم بن مضيان	١٥٠٠	٢٠٠
السهول	خزّين بن لحيان	٢٠٠٠	٢٥٠
قحطان	محمد بن عامله	٧٠٠٠	٨٠٠
العجمان	محمد بن شكبان	٣٥٠٠	٢٠٠
آل مرة	صالح بن زويله	١٥٠٠	١٢٠
الدواسر	قائد بن ربيعان	٥٠٠٠	٢٠٠
الظفير	ماضي بن سويط	٢٤٠٠	٨٠٠
عنزة	الحميدي بن هزال	٢٥٠٠	١٢٠٠
شمر	فارس الجربا	٣٠٠٠	٦٠٠
سبيع العارض	فراج أبو تنين	١٢٠٠	١٠٠
سبيع القبلة	مصلط بن قطنان	٢٠٠٠	٢٥٠
		٤١٠٠٠	٨٦٢٠

سلاطين آل عثمان في عهد سعود

ثلاثة سلاطين تعاقبوا على الحكم في استانبول ، خلال عهد سعود ، وهم :

أولاً : السلطان سليم الثالث ، وكان يدعو الى الاصلاح ، تشبهاً بالغرب ، وكان يريد التخلص من العساكر « الانكشارية » ، ولكن هؤلاء العساكر — وكان مشايخ « البكتاشية » يؤيدونهم ، لخوفهم من قضاء السلطان على طرقهم وتكاياهم ومواردهم — استطاعوا أن يكرهوا السلطان على التخلي عن العرش سنة ١٨٠٧ م .

ثانياً : السلطان مصطفى الرابع ، وكان أكثر أنصاره من دعاة الإصلاح ، فقتلهم الانكشارية ، ثم خلعوا السلطان ولم يمض عام واحـد على توليه السلطنة أو الخلافة !. وكان فقيراً بالموارد،فكتب إلى سلطان مراكش يطلب منه قرضاً..

ثالثاً : السلطان محمود الثاني ، وهو أخو السلطان سليم الثالث وقـد تولى السلطة سنة ١٨٠٨ . وكان عاقلاً ، داهية ، من أعظم سلاطين آل عثمان، وكانت بلاده في خضم الأخطار : خطر الانكليز ، وخطر الافرنسين ، وخطر المماليك، والألبان والصرب ، واليونان ، والمصريين ، والسوريين ، والأكراد ، ودسائس الباشاوات ومؤامرات الانكشارية .. الخ .. ولكنه استطاع التغلب على كل هذه الأخطار !

ومن أشهر أعماله الناجحة ، قضاؤه على العساكر « الانكشارية »، فقد ذبحهم غدراً ، كما ذبح محمد علي المماليك في مصر ، وأنشأ في تركيا جيشاً جديداً باسم النظام الجديد ، وأصدر قوانين عصرية ، ونظم الإدارات على أسلوب حديث ، وكان يظهر التمسك بالدين .

وهو الذي دفع محمد علي إلى محاربة السعوديين .

من هو محمد علي ؟

من هو محمد علي ، الذي أوكل اليه السلطان محمود الثاني ، محاربة الدولة السعودية الاولى ؟

محمد علي ألباني الأصل – أرناؤوطي – ولد سنة ١٧٦٩ م. – ١١٨٢ هـ. في قواله (كافالا) ، قرب سالونيك، في مقاطعة الروملي، التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ، وهي اليوم يونانية وتدعى (مكدونيا) ، وقد كان والده ابراهيم آغا رئيساً للحرس ، وكان محمد علي طفلاً صغيراً عند وفاة والده ، فتكفله عمه الذي كان يشغل منصب (متسلم) – أي نائب الحاكم – في قواله ، وكان محمـد علي أمياً ، ولكنه كان ذكياً ، وقد رأت أمه ، فيما يرى النائم ، أن ابنها أصبح ذا ثراء عريض وسلطان وجاه،فقصّت حلمها على ولدها فزاده ذلك طموحاً وكبرياء.

كان أول عمل ناجح قام به محمد علي (عملية) غدر ومكر .. فقد كلفه عمه تحصيل الضرائب من قرية ممتنعة، فذهب اليها محمد علي وطلب من عدد من سكانها أن يذهبوا معه للصلاة في المسجد – وكان يتظاهر بالتقى – فذهب معه عـــدد منهم وصلوا فلما انتهوا من الصلاة قيدهم بسلاسل واصطحبهم معه الى قواله، ومن هناك أرسل الى أهل القرية أنـــه سيقتل أولئك الرجال، الذين اعتبرهم رهائن وأسرى، اذا لم تسرع القرية الى تسديد الضرائب كاملة، فأذعنت القرية وسرّ المتسلم كثيراً بذلك .. وزوّج محمد علي احدى قريباته، وكانت أرملة مات عنها زوجها، فأنجبت لمحمد علي ابراهيم وأحمد طوسون واسماعيل .

ويقال ان ابراهيم ليس ولد محمد علي، وإنما هو ابن امرأته من زوجها الأول.

ولما غزا الافرنسيون مصر، طلب السلطان العثماني من متسلم قواله أن يرسل عدداً من المقاتلة الى مصر للمشاركة في قتــال الافرنسيين، فأرسل اليها ثلاثمائة جندي بزعامة ابنه، ولكن محمد علي تولى بمكره قيادة هذه الفرقة إذ جعل ابن المتسلم، وكان من الشبان المترفين، يتخلى له عن القيادة ويرجع الى وطنه .

ويقول المؤرخ الافرنسي مانجان إن الحظ خدم محمد علي كثيراً، لأن القائد العثماني أوكل اليه مهاجمـــة حصن إفرنسي منيـع فهاجمه واقتحمه واستولى عليه وأصاب بذلك شهرة كبيرة، والحقيقة هي أن الافرنسيين كانوا قد أخلوا الحصن من تلقاء أنفسهم قبل وصوله بقليل !..

بعـد ذلك قدمه القائد التركي الى والي مصر خسرو باشا وأوصاه به خيراً، فولاه خسرو فرقة من العسكر لمحاربة المماليك، ولكنه اتفق سراً مع المماليك، وضايق خسرو حتى عزل من ولاية مصر، ثم أرسل السلطان خورشيد باشا والياً على مصر فعاكسه محمد علي وأراد خورشيد عزله، ولكن محمد علي جمع العساكر حوله وحملهم على أن يقسموا له يمين الولاء حتى النفس الأخير .. وأرسل الى استانبول الهدايا والرشوات..وبذلك سماه السلطان والياً على مصر عام ١٨٠٥م. ثم انقلب محمد علي ضد حلفائه المماليك وذبحهم .

وكانت سياسته تتسم بالمكر والغدر، بل هي أسوأ تطبيق للسياسة

(الماكيافيلية) .. ولكنه ، بعد استقرار الأمور له ، أخذ بالأساليب الغربية للنهوض بمصر ، ويقال انه بدأ يتعلم القراءة والكتابة وهو في الخامسة والأربعين ، وكان يتكلم التركية ، ولم يحسن قط النطق باللغة العربية ..

وهو يزعم إنه حارب السعوديين انتصاراً للدين ، ولكنه كان يعلم أن دعواه هذه كاذبة ، لأن السعوديين هم المتمسكون بالاسلام الصحيح ، وقد أحب أن يخدع الجماهير ويظهر لهم أن السعوديين يخالفون ما عليه أهل السنة ، فاستدعى عدداً من علماء نجد ، وقال لهم أن يناظروا علماء الأزهر – وكان يظن أن الأزهريين يريدون إظهار تفوقهم عليهم فيتهمونهم بالخروج عن الدين .. ولكن العلماء النجديين ، كما يقول بركارت – لم يذكروا شيئاً مما هم عليه من المعتقدات والأفكار ، إلا احتجوا له بآيات من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، ثم جاؤوا بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وبأقوال أخرى له وقرأوها ، فقال علماء مصر لمحمد علي :

ما دام النجديين يقولون بما يقول به الشيخ محمد بن عبد الوهاب فنحن معهم ، وكيف لا نكون مع الذين يتمسكون بالقرآن والسنة ؟

وهكذا طوى محمد علي صفحة المناظرات الدينية العلمية لأنه لم يجد فيها ضالته ، ولجأ إلى الافتراء والسباب والدعاوات الباطلة لخداع الجماهير .

لقد ذكرنا ، في بحثنا عن الحملة المصرية ، الأسباب التي دعت محمد علي إلى تلبية أوامر السلطان ومحاربة السعوديين ، ونكتفي هنا الآن بإضافة ما قاله أمين الريحاني ، إلى ما قلناه من قبل :

قال الريحاني :

(تردد محمد علي في بادىء الأمر ، لا لأنه لم يكن ليرغب فيه أو يستطيعه ، بل لأن المماليك كانوا يومئذ مسيطرين ، وكان يخشى أن يترك البلاد وشؤونها في أيديهم .

أعاد الباب العالي الطلب مراراً ، وقد هدد الباشا إذا كان لا يذعن للأمر ..

والواقع إن الباشا كان راغباً في الإذعان للأمر ولكنه كان يتحين الفرص ، وقد رأى في الإذعان ثلاث فوائد كبرى لنفسه :

الاولى – أن يبعد جيشه الألباني غير المنظم ، الكثير التمرد ، فيتمكن في أثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الغربية .

والثانية – أنه يأخذ من الدولة الأموال التي كان في حاجة اليها بحجة لزومها لنفقات الحرب المقدسة .

والثالثة – ان هـذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم على حبه وولائه بصفته منقذ الحرمين ومعيد مناسك الحج .)

كيف كانت نهاية رجلين حاربا الامام سعود ؟

— ١ —

نهـــاية الشريف غالب

قال الجبرتي :

في صفر من سنة ١٢٢٩ وصل إلى القاهرة (حريم الشريف غالب ، فعيّنوا له داراً يسكنها مع حريمه جهة سويقة العزى ، فسكنها، ومعه أولاده ، وعليهم المحافظون .

واستولى محمـــد علي باشا على موجودات الشريف غالب من نقود وأمتعة وودائع ومخبآت وشرك وتجارات وبن وبهار ونقود بمكة وجدة والهند واليمن ، شيء لا يعلم قدره إلا الله تعالى .

وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهن من الثياب، بعدما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً ، وهتك حرمته !

قل اللهم مالك الملك ! هذا الشريف غالب انتزع من مملكته ، وخرج من دولته وسيادته وأمواله وذخائره ، وانسلّ من ذلك كله كالشعرة من العجين ، حتى أنه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون إلى جدة أخذوا ما في جيوبه ! فليعتبر من يعتبر !

وكل الذي وقع له وما سيقع له بعد من التغريب وغيره ، فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع في الدنيـــا وتحصيلها بأي طريقة ، نسأل الله السلامة وحسن العافية .

وقال الجبرتي ، في أخبار أواخر سنة ١٢٣١ .

(ومات الأجل المكرم الشريف غالب بسلانيك . وهو المنفصل عن إمارة مكة وجدة والمدينة وما انضاف إلى ذلك من بلاد الحجاز ، فكانت إمارته نحواً من سبع وعشرين سنة ، فإنه تولى بعد موت الشريف سرور في سنة ١٢٠٣ هـ .

وكان من دهاة العالم ، وأخباره ومناقبه تحتاج إلى مجلدين ، ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا ، فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه وقبض عليه وأرسله إلى بلدة سلانيك ، وخرج من سلطنته وسيادته إلى بلاد الغربة ، ونهبت أمواله وماتت أولاده وجواريه ، ثم مات هو في هذه السنة) .

— ٢ —

نهاية أحمد طوسون

وقال الجبرتي في أخبار أواخر سنة ١٢٣١ م :

(ومات المقر الكريم المخدوم أحمد باشا الشهير بطوسون ، ابن حضرة الوزير محمد علي باشا ، مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف اليها ، وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية وتوجهه الى الاسكندرية ورجوعه الى مصر ثم عوده الى ناحية رشيد ، وعرضي خيامه جهة الحماد .. وهو ينتقل من العرضي الى رشيد ثم الى برنبال وأبي منصور والعزب .

ولما رجع هذه المرة ، أخذ صحبته من مصر المغنين وأرباب الآلات المطربة بالعود والقانون والناي والكمنجات ، وهم ابراهيم الورّاق والحبابي وقشوة ومن يصحبهم من باقي رفقائهم ، فذهب ببعض خواصه الى رشيد ومعه الجماعة المذكورون فأقام أياماً ، وحضر اليه من جهة الروم جوار وغلمان أيضاً رقاصون ، فانتقل بهم الى قصر برنبال ، ففي ليلة حلوله بها نزل به ما نزل من المقدور ، فتمرّض بالطاعون ، وتملل نحو عشر ساعات وانقضى نحبه ، وذلك ليلة الأحد ٧ شهر ذي القعدة ، وحضر خليل أفندي قوللي حاكم رشيد ، وعندما خرجت روحه

انتفخ جسمه وتغير لونه الى الزرقة ، فغسلوه وكفنوه ووضعوه في صندوق من الخشب ، ووصلوا بـه في السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره ، وكان والده بالجيزة فلم يتجاسروا على إخباره ، فذهب اليه أحمد آغا أخو كتخدا بك ، فلما علم بوصوله ليلاً استنكر حضوره في ذلك الوقت ، فأخبره عنه – أي عن أحمد طوسون – أنه ورد الى شبرا متوعكاً، فركب في الحين القنجة وانحدر الى شبرا وطلع الى القصر وصار يمر بالمخادع ويقول : أين هو ؟

فلم يتجاسر أحد أن يصرح بموته، وكانوا ذهبوا به وهو في السفينة الى بولاق ورسوا به عند الترسخانة ، وأقبل كتخدا بك على الباشا فرآه يبكي فانزعج انزعاجاً شديداً وكاد أن يقع على الأرض، ونزل السفينة فأتى بولاق آخر الليل، وانطلقت الرسل لإخبار الأعيان ، فركبوا بأجمعهم الى بولاق ، وحضر القاضي والأشياخ والسيد المحروقي ، ثم نصبوا (تظلك) ساتراً على السفينة ، وأخرجوا الناووس والدم والصديد يقطر منه ، وطلبوا القلافطة لسد خروقه ومنافسه ونصبوا عوداً عند رأسه ووضعوا عليه تاج الوزارة المسمى بالطلخان ، وانجروا بالجنازة من غير ترتيب ، والجمع ماش أمامه وخلفه (وليس فيها من جوقات الجنائز المعتادة كالفقهاء وأولاد الكتاتيب والأحزاب شيء) من ساحل بولاق. الى الرميلة ، فصلوا عليه بمصلى المؤمنين وذهبوا به الى المدفن الذي أعده الباشا لنفسه ولموتاه ، كل هذه المسافة ووالده خلف نعشه ينظر اليه ويبكي ...

.. ولما وصلوا إلى المدفن هدموا التربة وأنزلوه فيها بتابوته الخشب ، لتعسر إخراجه منه بسبب انتفـــاخه وتهرّيه ، حتى انهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات في المجامر الذهب ، والرائحة غالبة على ذلك ، وليس ثمّ من يتعظ أو يعتبر !

.. ومات وهو في مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين ، وكان أبيض جسيماً ، كما قد دارت لحيته ..)

ويقول الجبرتي ، مع ذلك ، ان أحمد طوسون كان يميل الى أولاد العرب ، وكان ينكر على أبيه أفعاله ، والله أعلم !